المحاضرة الاولى: الفكر الاقتصادي في الحضارات الشرقية القديمة

1- الحضارات الشرقية :

عرفت الحضارات القديمة في الشرق إزدهارا كبيرا، مما يوحي بوجود تنظيم اقتصادي واجتماعي دقيق. فالحضارة المصرية القديمة وحضارة البابليين والحضارة الصينية عرفت مجتمعات منظمة من زمن بعيد. وكانت هذه الحضارات شديدة المركزية، وتعرف نوعا من الزراعة المتقدمة والمنظمة. وكانت الدولة تسيطر على تنظيم أمور الحياة الاقتصادية، وبوجه خاص تنظيم الري (في مصر والعراق)، مما يستتبع بالضرورة إلماما بالمشاكل السياسية والإقتصادية والإجتماعية.

وللأسف، لم تصل إلينا وثائق كافية تمكننا من معرفة الفكر الاقتصادي السائد في ظل هذه الحضارات. حقا لقد وردت بعض الأفكار عن الملكية وتنظيمها في قانون حمورابي، وهو أقدم قانون معروف لدينا، ولكن هذه التنظيمات قد تناولت بصفة أساسية الجانب القانوني والديني، ولم تتعرض للجوانب الاقتصادية، وكانت الكتابات المصرية القديمة قاصرة على تسجيل بعض الأفكار الفلسفية والدينية ونظام الحكم. (البلاوي، 1968، الصفحات 17-18)

انتبه مؤرخو الحضارات القديمة إلى مفارقة ملفتة للنظر، إذ لوحظ أن ما نعرفه عن الحياة الفكرية للحضارات الشرقية إجمالا لا يتناسب مع ضخامة إنجازاتها المادية، وربما أمكن تعليل هذه الظاهرة بأسباب متعددة منها (محاد، 2022، صفحة 10) :

- البعد الزمني السحيق الذي يفصلنا عنها والذي يمتد حتى بدايات الألف الثالثة قبل الميلاد. إن انقراض اللغات التي كتبت بها المخلفات الفكرية لتلك الحضارات كالمسمارية والهيروغليفية قد أعيا الآثاريين في حل رموزها وأقام حاجزا يحول دون التعرف إلى نتاجاتها الفكرية .
- التجنيد الاجباري لأعمال الري وأعمال الحرب. إذ لوحظ أن تلك الحضارات كانت حضارات فاعلة ونابضة بالفعالية المدنية والعسكرية بنفس الوقت مما أتى على فوائض الوقت الذي كان يمكن أن يكرس للأعمال الفكرية كما هو الحال عند أمم مترفة كاليونان كما سنلاحظ لاحقا .
- فإذا أضفنا إلى ذلك أن حضارات الغرب القديمة لم تؤتمن على تركة الحضارات الشرقية، كما فعلت الحضارة العربية الاسلامية بنتاجات اليونان والرومان، ففي الوقت الذي استعاد فيه الغرب ذخائر إرثه الفكري من الحضارة الاسلامية بكل أمانة لم يحفظ لنا الغربيون شيئا من ميراث الحضارات الشرقية القديمة ويكفي أن نعلم أن(تاريخ بابل) الذي كتب في ثلاثة اجراء لم يصلنا منه سوى صحائف معدودة في حين استرد الأوروبيون كامل تراثهم الفكري من مكتبات الأندلس وصقلية والاسكندرية وبغداد المأمون.

تشترك الحضارات الشرقية في مجموعة من الخصائص البيئية التي حكمت الأنشطة الاقتصادية القاعدية، وجعلت للمؤسسة السياسية دورا مميزا فيها عرف بنمط الإنتاج الأسيوي، إذ يلاحظ أن طبيعة المناخ الجاف جعل الزراعة، وهي النشاط الأساسي المعيل للسكان، يعتمد على منظومات الري وتقنياته من أنهار وسدود وجداول وخزانات. إن هذه التقنيات لم يكن بالإمكان إنجازها ولا إدارتها إلا من قبل الدولة وهذا ما جعل الفعالية الأساسية تعتمد اعتمادا جذريا على الشروط التي تؤمنها الدولة للزراعة. وإلى هذه الحقيقة اشار (حمورابي وسنحاريب) في الخطب التي دشنوا بها مشاريعهم الأروائية .

ومن هنا برزت الوظيفة الاقتصادية للدولة، ومن هنا برزت أيضا مبررات مركزية الدولة، فالمصلحة تقتضي تعبئة الجهود في السلم لمواجهة الفيضانات ولأعمال الري واستحضاراته و تكميلاته كما تقتضي تعبئة الجهود في الحرب لحماية أمن الدولة تجاه الأخطار الخارجية .

إن القول بأن النشاط الاقتصادي الأساسي هو الزراعة لا ينفي وجود أنشطة أخرى فقد شهدت المراكز الحضرية نشوء وتطور الحرف كما شهدت ازدهار التجارة وتطور النقود فقد عرف النقد المعدني بشكله السبائك والمسكوكات، كما عرفت (بابل) المؤسسة المصرفية بوظائفها التقليدية، وهكذا استكملت حركة التمدن وتقسيم العمل كامل أدوارها، وفي حضارات الشرق القديم جملة عرفت الملكية العامة ممثلة بأملاك الإمبراطور أو الفرعون، وكذلك أملاك المؤسسة الدينية أو المعبد، هذا زيادة على الملكية الخاصة للأحرار. أما التركيب الاجتماعي فقد تكون بشكل أساسي من طبقتي الأحرار الذين يملكون ويديرون النشاط الاقتصادي وطبقة العبيد التي تشارك في النشاط الاقتصادي في البيوت الحرفية (الورش) في المدن وفي المزارع التي ينهض ما العبيد بالنشاط الزراعي سيما مزارع المعبد هذا زيادة على رق الخدمة المنزلية .

عرفت حضارات الشرق القديمة بعض القوانين مثل قانون (اورنمو) الذي يعود إلى سلالة (أور الثالثة) وقانون(لبت عشتار)، الذي ينتمي إلى سلالة (ايسن) إلا أن أبرز هذه القوانين وأوسعها هو شريعة (حمورابي) عظيم ملوك الإمبراطورية البابلية القديمة. الذي ضمت مسألتها الشهيرة (250) مادة تطرقت إلى جوانب دستورية حول مبدأ الحق الإلهي وتفويض السلطة وكذلك ورد فيها تعريف دقيق للالتزامات والحقوق ضبط لعقود البيع والرهن ولوائح بالأسعار والايجارات بما فيها أسعار الفائدة. كما ضمت لوائح بالجرائم الاقتصادية والعقوبات المناسبة. وانصرفت في جانب منها إلى تنظيم رق الدين (وتوقيته) كما أكدت مبدأ عدم المضارة أو التعسف في استخدام الحقوق الخاصة. وفيها أحكام واضحة تنتصف للضعفاء من الأقوياء وتمنع تجاوزات المرابين وتؤكد وجوب الرفق بالرقيق .إن النقوش الحجرية والنحاسية واللوائح القضائية والعقودية والمستندات المحاسبية والمراسلات الملكية وتقارير النجوم والحسابات الفلكية قد ضمتها مكاتب مصنفة كما أثبتت المسوحات الأثرية لكن ما وصلنا منها لا يكفي لتكوين صورة كاملة عن الحياة الفكرية في تلك الحضارات تتناسب مع منجزاتها المادية البادية رغم توالي الزمن. (محاد، 2022، الصفحات 10-11)

أ- الحضارة البابلية :

من الحضارات التي ظهرت في أزمنة بعيدة قبل الميلاد تلك التي ظهرت في أواخر الألف الرابعة قبل الميلاد حتى الألف الثالثة قبل الميلاد... وتتميز تلك الحضارة بالتطور في البناء والنحت والكتابة والعمارة.. ومما تجدر الإشارة إليه ونحن بصدد التحدث عن الفكر الاقتصادي، أنه في خلال تلك الفترة المبكرة من الزمان ثبت أن أهم الموضوعات التي وجدت مكتوبة كانت تدور حول وثائق اقتصادية تتضمن إحصائيات عن المعابد وممتلكاتها من حقول وماشية ودخول تلك المعابد من المحاصيل واللبان والماشية وغيرها من البنود الأخرى. كما كانت تتضمن أيضا المخصصات اليومية لكل فرد على حدة. ولقد ثبت قوة اتساع العلاقات الخارجية لأهل العراق حيث وجدت هذه الحضارة مع العديد من البلدان الأخرى من مناطق الشرق الأدنى القديم مثل مصر والسند والجزيرة العربية .

ب- الحضارة الفينيقية:

ومن الحضارات القديمة يمكن أن نذكر أيضا الحضارة الفينيقية التي قامت على يد القوم التي حملت الحضارة اسمهم وهم الفينيقيون، والذين اختلفت الدراسات التاريخية في تحديد موطنهم الأصلي فمنهم من ذكر أن موطنهم الأصلي هو دولة البحرين ومنهم من قرر أنهم من الشام.. أو من الحبشة.. وهكذا وعلى أية حال فقد استقروا على ساحل البحر

الأبيض المتوسط حيث انتشرت حضاراتهم العريقة عبر المنطقة المذكورة في غضون الألف الأول قبل الميلاد وقاموا بتأسيس مدن عريقة ما زالت لها آثارها الباقية حتى الآن مثل مدينة "قرطاج" بالقرب من تونس الحالية ومدنا أخرى في (ليبيا) وفي مناطق متفرقة، إلى جانب تأسيس العديد من المستعمرات (كورسيكا) و(صقلية ومالطة) وفي (مرسيليا) وغيرها .

وتذكر الدراسات التاريخية أن الفينيقيين اكتشفوا طريق الرجاء الصالح قبل أن يكتشفه فاسكو ديغاما بنحو ألفي عام. كما اشتهروا بصناعة البرونز والعاج والعظم والزجاج ولأقمشة، وبرعوا في صناعة السفن وأبدعوا في فن الملاحة فكان لهم باع طويل في النشاط البحري والتجاري وفي الكشوفات الجغرافية ذات الأهمية الكبرى والشهرة التاريخية العريقة .

وكانت لهم شهرة خاصة في استخراج مادة حمراء من القواقع البحرية واستخدامها في صياغة الأنسجة، حتى أصبح ذلك اللون الأحمر لون الطبقة الأرستقراطية المميز والمفضل كما انهم أبدعوا في صناعة الآلات الموسيقية وأدوات الزينة وأدوات طعام الفاخرة. ولقد توسع الفينيقيون في إنشاء المستعمرات في مشارق الارض ومغاربا وبخاصة في حوض البحر الابيض المتوسط بين القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد حتى أن فينيقيا اشتهرت وقتها بأنها سيدة التجارة في البحر المتوسط، وبذلك قد تكون قد سبقت بريطانيا التي امتلكت أكبر و أشهر أسطول تجاري فيما بعد في الحصول على ذات اللقب .

كما يقال أن التجار الفينيقيون هم الذين علموا الامم القديمة مثل الامبراطورية اليونانية الحروف الهجائية المصرية، يمكن أن يشير ذلك إلى الارتباط الهام بين التجارة كنشاط وبين الثقافة كفائدة يمكن اكتسابها بالاحتكاك عن طريق ممارسة النشاط التجاري. كما يقال أنهم هم الذين أدخلوا البردي من مصر وكان البردي عبارة عن نبات يستخدم في الكتابة عليه وفي تسجيل الحروف الهجائية والسجلات الحسابية المختلفة .

ويتضح من الكتابات التاريخية أن النشاط الرئيسي للمستعمرات والمدن الفينيقية كان يتمثل في التجارة والنشاط الملاحي، وكانت طبقة التجار الأثرياء هي الطبقة الحاكمة والمدربة على فنون الحكم والسياسة الخارجية والسياسة المالية، أما أصحاب المهن والصناعات فكانوا يمثلون الطبقة المتوسطة التالية للطبقة العالية من التجار، وتأتي بعد ذلك الطبقة الثالثة والدنيا في ظل الدولة الفينيقية والتي كانت تتألف من الخدم والعبيد وكان الفينيقيون يعملون على تعظيم ثرواتهم من المعادن النفيسة خاصة من الذهب والفضة مثلهم في ذلك مثل التجاريون الذين ظهروا في عصور لاحقة بعد الميلاد كما سيتضح فيما بعد .

ت- الحضارة الفرعونية:

ترجع تلك الحضارة إلى أكثر من ثلاث آلاف عام قبل الميلاد حيث كان "فرعون" يمثل الملك الذي يحكم البلاد والذي كان يجمع كل السلطات المختلفة في يد شاملة السلطات الدينية والسلطات الدنيوية. وبمعنى أكثر تفصيلا، فقد كانت مصر مقسمة إلى إقطاعيات منفصلة يحكم كل منها أمير، وكان فرعون يحكم كل الإقطاعيات وكان يعتبر وقتها ابنا للآله أو أنه الإله ذاته مما أكسبه نفوذا روحيا وماديا لا حدود له على شعبه. وكان النظام السائد في البلاد هو تدخل الدولة الكامل في شؤون الأفراد وفي أنشطتهم المختلفة. ومن أهم الأسس والأفكار الاقتصادية التي صاحبت الحضارة الفرعونية يمكن أن نعرض الآتي :

- **مبدأ الاحتكار المطلق للحاكم**: فقد كان فرعون مصر هو المالك الوحيد للأراضي الزراعية ولما تنتجه من حصتها الأساسية من المحصول. وكذلك فقد كان فرعون يحتكر كل المحاجر ومناجم الذهب والنحاس في الصحراء الشرقية وفي سيناء، وكذا شق الترع والمصارف وتنظيم الري وحصص الماء .

- **التجارة الداخلية**: كانت محددة النطاق وتمارس بشكل دوري كل أسبوع مثلا في أسواق القرية وأسواق المدينة حيث يتم التبادل بين الأفراد للمنتجات الغذائية والحيوانات الحية وبعض المصنوعات الخفيفة. إلا أن ما يمكن أن يميز تلك الأسواق اعتماد رواجها أو كسادها على مستوى مياه الفيضان، وكانت تتم عادة بشكل بدائي وفي صورة مقايضة .
- **التجارة الخارجية**: كان نشاط التجارة الخارجية يعتمد في قوته أو ضعفه على قوة مصر الحربية والسياسية، كما كانت تضعف وتنكمش مع ضعف السلطة الحاكمة أو انهيارها وبوجه عام فقد تنوعت التجارة الخارجية ما بين الكماليات النسبية من فضة وبخور وزيت وأخشاب لبناء المعابد والقصور والسفن وعاج وروائح وغيرها ذلك مما يلزم الطبقات الغنية ورجال الدين بصفة أساسية. كما كانت مصر تستورد الآلات الموسيقية والأواني والخيول والأسماك والماشية وبعض المنتجات الأخرى من سوريا والبلاد المجاورة على وجه الخصوص بينما اشتهرت مصر بتصدير الحلى والمنسوجات الكتانية والأواني والتماثيل وتشير كتب إلى أن مصر كانت تمتلك في ذلك الوقت أسطولا تجاريا كبيرا يضم على الأقل أربعين سفينة .
- **نظم الضرائب**: فرضت الضرائب على الأقاليم التابعة لمصر على أن تجبى حصيلتها لصالح فرعون الحاكم، وفي عهد أمنمحات الأول تم تعيين موظف أطلق عليه " رئيس المراقبين لأراضي الخزانة الملكية "وذلك بهدف تحقيق المعرفة التامة بالوضع الاقتصادي للبلاد وعدم السماح بما يطلق عليه باللغة الحديثة التهريب الضريبي ومن القوانين الفرعونية التي سنت في المجال الضريبي نجد أن تشريع "حور محب " قد تضمن الأتي :
  - أن كل من يتعرض للسفن التي تحمل الضرائب للدولة يعاقب بجدع الأنف، فضلا عن النفي إلى أماكن أخرى خارج البلاد وبالتحديد إلى "شارو" ناحية القنطرة شرق .
  - إن كل موظف يجد مواطنا لا يستطيع الحصول على سفينة لتوريد الضرائب عليه أن يعمل على إيجاد سفينة له .
  - إن كل من يسرق سفنا تحمل ضرائبا للحريم أو للمعابد يجدع أنفه وينفى إلى "شارو "
  - معاقبة الابتزاز والرشوة في تحصيل ضريبة الدخل العام وإنزال العقاب بمفتشي الضرائب إذا ما اتفقوا مع محصلي الضرائب بغية الكسب والتلاعب .

هذا، وقد كانت هناك أنواع من الضرائب التي تفرض على المناطق الخاضعة للسيادة المصرية كمثل الضرائب المحصلة من الأراضي النوبية، ومن أنواع الضرائب المجباة .

الضرائب على الأراضي الزراعية والضرائب على الدخول، وكان هناك فرد يقوم بدور المحاسب باللغة الدارجة، حيث كان يسجل ما يتم من أعمال وما يسلم من البضائع وأثمانها ومكاسبها أو خسارتها، كما يحمي المواشي الذاهبة إلى المذابح وهي تكال للبيع، ويكتب العقود والوصايا، ويقدر ما يجب على السيد أن يؤديه من ضريبة الدخل، كما كانت تفرض ضرائب جمركية لحماية التجارة المحلية .

ولقد كانت الضرائب تجبى عادة في صورة عينية ومن ثم فقد كانت خزائن الملك تغص بحصيلة ضرائب من آلاف السلع ومنتجات الحقول وبضائع الحوانيت وليس من النقود كما هو معتاد الآن. ومن الأمثلة على قيمة ما يحصل من ضرائب أن كل فدان من الأرض التي يمتلكها فرعون يمكن للفرد أن يستأجرها لزراعتها على أن يؤدي عنها ضريبة عينية تتراوح مابين عشر المحصول وخمسه .

- **النقود**، مرت النقود في العصر الفرعوني بمراحل مختلفة يمكن إيجازها في الآتي :

أولا: في بداية الأمر لم تكن هناك نقود، بل كانت السلع هي البديل المستخدم في البيع والشراء ومنح الموظفين لدخولهم فكانوا يحصلون على هذه الدخول مثلا في صورة خبز أو خميرة أو حبوب .

ثانيا: بعد ظهور المعادن النفيسة وانتشار استخدامها أصبحت قيمة الأشياء توزن أو تقيم على أساسها خاصة على أساس سبائك الذهب التي تقدر قيمتها- بدورها- بوزنها .

ثالثا: النقود في شكل دراهم مسكوكة وقد حدث ذلك على وجه التحديد في عهد يوسف عليه السلام بدليل قوله تعالى: (شروه بثمن بخص دراهما معدودة وكانوا فيها من الزاهدين وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا) (يوسف2 ومن إية 12(

- **نظام الائتمان** : الائتمان في مصر الفراعنة نشأ وارتقى إلى دجة مرتفعة وكان الكثير من التحويلات والصكوك المكتوبة تحل محل المقايضة أو الدفع الفوري في الكثير من المعاملات ولقد زادت أهمية المعاملات الائتمانية في ذلك الوقت حتى أنه كان هناك كتبة يقومون خصيصا بمهمة كتابة الصكوك لائتمانية المتعلقة بالمتعاملين .
- **الزراعة**: كانت الزراعة تحتل مكانا رئيسيا بين الأنشطة الاقتصادية السائدة في مصر في العهد الفرعوني غير أن المزارعين كانوا يبذلون جهدا أقل في الزراعة لوجود النيل الذي يوفر عليهم مؤونة تحطيم أخاديد الأرض بالمحاريث أو عزقها أو القيام بأعمال أخرى يضطر المزارعون في الأراضي البعيدة عن النيل إلى القيام بها. غير أن يلاحظ أن المزارع كان يعمل في الأرض كرقيق عليه أن يقدم جزءا كبيرا من إنتاجها إلى صاحب الأرض من الطبقة الحاكمة أو من الجيش أو من رجال الدين.

  وإلى جانب فلاحة الأرض كان المزارعون القدماء في مصر يقومون بأنشطة أخرى مثل تربية الحيوانات وتشييد الأهرامات والأبنية والقصور .
- **الصناعة**، تقدمت الصناعة المصرية القديمة في بعض المجالات تقدما هائلا يفوق في بعض الأحيان مستواه الحالي ليس في مصر وحدها بل على المستوى العالمي أيضا. ومن أهم الصناعات التي تفوقت فيها مصر آنذاك صناعة التحنيط وصناعة المنسوجان وصناعة التعدين. ولقد عثر المنقبون على نماذج من منسوجات كتانية يقدر عمرها بأربعة آلاف عاما .
- كما كان **فن الهندسة** يرقى عند المصريين عن كل ما عرف في اليونان وفي الرومان بل وعن كل ما شهدته مظاهر الرقي العصري في الفن الهندسي المعاصر. ومن الأمثلة على الإنجازات الهندسية والمعمارية العملاقة الأهرامات التي يعجز عباقرة العصر الحديث هن مضاهاتها.
- **وسائل النقل والمواصلات**، اختلفت وسائل الانتقال باختلاف الطبقة المستخدمة لها وباختلاف الشيء المنقول، وبوجه عام كان يندر استخدام الآلات في أغراض النقل وبدلا من هذا كان يستعان بالمجهود العضلي لتوفره بكثرة ولرخص ثمنه أيضا. وكانت هناك سفنا تستخدم كوسائل للنقل والمواصلات البحرية . أما عن الانتقال البري فالفقير يتنقلون سيرا على الأقدام أو على الحمير بينما الأغنياء يركبون الهوادج التي يحملها العبيد ثم تطور الأمر إلى ركوب عربات يقع ثقلها كله أمام محور العجل .وكان في مصر الفرعونية بريد منتظم إلا أن وسائل الاتصال -مع هذا- لم تكن مسيرة فقد كانت الطرق قليلة وغير ممهدة فيما عدا الطريق الحجري الممتد من نهر الفرات مارا

بغزة. وكان التواء النيل الذي كان يمثل أهم وسائل الاتصال وقتئذ يضاعف بعد المسافة بين المدن المختلفة وبالتالي يزيد من صعوبة عملية الاتصال فيما بينها .

- **التخطيط**: من أبرز الأمثلة وأشهرها على الإطلاق على معالجة المشكلات والأزمات الصعبة الخطة المحكمة التي عرضها يوسف عليه السلام لحل مشكلة الجدب التي كانت تنذر الاقتصاد المصري لفترة طويلة ستمتد إلى سبع سنوات وذلك كما ورد في الآيات الكريمة من سورة يوسف حيث قال تعالى: (يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون، قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتهم لهن إلا قليلا مما تحصنون، ثم يأتي بعد ذلك عام يغاث الناس وفيه يعصرون. (يوسف: 93-64 .(

فتلك الخطة الناجحة قدمها يوسف عليه السلام للتغلب على جدب ونقص في الأرض حيث ن موجز

تلك الخطة هو ترك الحصاد وادخاره في سنبله (حتى لا يفسد إذا اقتطف) والاستهلاك بقدر الحاجة منه

فقط وذلك في وقت الخصوبة، أما في سنين الجدب والقحط فيحسب من المدخر من الثمر على السنابل

قليلا قليلا وفقا للحاجة حتى يكفي ذلك المدخر من الثمر في فترات القحط .

غير أنه تجدر الإشارة هنا إلى تلك الخطة المحكمة هي نوع من الوي الإلي ليوسف عليه السلام ومنية على رؤية أراد الله العليم الحكيم لحكمة لا يعلمها إلا هو- أن يراها وقتها فرعون مصر أو ملكها حتى تكتمل القصة المعنية على نحو الذي أوضحه القرآن الكريم. وبناء عليه، فإن ما نود أن نوضحه من ذبك الجا . من قصة يوسف عليه السلام هو أنه كان هناك نوع من التخطيط المطبق بشكل علمي دقيق ومتكامل وحق إن اعتبر ذلك وحيا إلهيا فما من شك أن كل ما يفعله الإنسان وما يتعلمه إنما هو بالفعل وحيا من الله أو يعلم منه وإذا ادعى داع أن الإنسان هو واضع العلم الحديث وصانعه فيجب أن نتذكر أن الله سبحانه وتعالى هو صانع هذا الإنسان وواهبه تلك المقدرة على التعلم .

ث- الحضارة الصينية:

هناك اعتقاد قوي متمركز في أوروبا بأن الحضارة الغربية تمثل قمة النجاح التي يجب على جميع الثقافات الأخرى محاكاتها. وعند إلقاء نظرة خاطفة على معظم النصوص في تاريخ الفكر الاقتصادي قد يشار خطأً إلى أن الصين ليس لديها الكثير للمساهمة به، فهناك تحيز مناهض للشرق. إن الثقافة الغربية قد تأثرت منذ فترة طويلة بالصين: الحروف المتحركة[1]، النقود الورقية[2]، والبارود[3]، والقوس[4]، والنظام العشري[5]، والتطعيم[6]، والجسر المعلق[7]، كلها تعود أصولها إلى الصين. (Barnett، 2015، صفحة 294)

---

1 الحرف المتحرك هو نظام وتقنية الطباعة وفن صياغة الحروف الذي يستخدم أجزاءً متحركة لإعادة إنتاج عناصر المستند (عادةً ما تكون الأبجدية الرقمية أو علامات الترقيم) ويُطبع على الورق. كانت أول تقنية طباعة للحرف المتحرك في العالم لطباعة الكتب الورقية مصنوعة من البورسلان واخترعت نحو عام 1040 ميلادي في الصين خلال عهد أسرة سونغ الشمالية من قبل المخترع بي شنغ (990-1051).

[2] يعتبر الصينيون أول من استخدم العملات الورقية، وكان اسمها جياوتسي، في زمن أسرة سونغ الشمالية التي تطور فيها الاقتصاد الزراعي إلى قمته فزاد حجم التجارة، وهو ما جعل إتمام الصفقات التجارية بعملات نقدية ثقيلة مهمة صعبة على التجار، ومن هنا بدأ استخدام العملات الورقية. كانت هناك أوراق تحمل صور بيوت وبشر وبضائع مرخصة من الحكومة ويستخدمها التجار لتدوين المبالغ عليها وتوقيعها ووضع علامة عليها للوقاية من التزوير، وبعدها كانت تستخدم مثل النقود المعدنية في الأسواق أو تستبدل بالعملات النقدية في شركات ومكاتب الصرافة.

3البارود هو أقدم متفجر مستحدث. وقد أدرج شعبيًا كأحد «الاختراعات الأربعة العظيمة» في الصين (البوصلة· البارود· صناعة الورق· الطباعة)، اخترع في أواخر عهد سلالة تانغ) القرن التاسع) بينما يرجع تاريخ أقدم صيغة كيميائية مسجلة للبارود إلى عهد سلالة سونغ (القرن الحادي عشر.(

4 يعود اختراع القوس والنشاب إلى الصين قبل حوالي 2500 عام. وحسب السجلات التاريخية، فإن استخدامهما كان منتشرا جدا في الصين بحلول سنة 500 قبل الميلاد. وترجح بعض المصادر الأخرى أن هذه التكنولوجيا ظهرت حوالي سنة 700 قبل الميلاد. ومهما كان تاريخ صنعها، فإن هذه الأداة كان لها تأثير كبير على الحروب منذ ذلك العهد.

5 يستخدم كل العالم رقم 1 –9، لكن كثيرا منهم لا يعرفون أن النظام العشري من اختراعات الأمة الصينية.

6 تطور التطعيم بشكلٍ أساسي في القرن العشرين، لكن بداياته تعود إلى سنة 1000 ميلادي، حيث كان الصينيون يستعملون التلقيح.

7 برع الصينيون قديما في استخدام سلاسل الحديد في إنشاء الجسور المعلقة.